المواطن على الإحتمال، خصوصاً بعد الإرهاق المادي والنفسي، المتولّد عن طول مدة الحرب، وانعدام وجود مؤشرات على نهاية محتملة لها، في أمد قريب.

وعندما نتحدث عن المراهنة الإسرائيلية، على تولّد مثل هذا المناخ المحتقن، فإننا نتحدث، في الوقت نفسه، عن مراهنة مكملة لها، قوامها قدرة أو استعداد بعض الأطراف لاستقبال هذه الحالة، وتوظيفها في اتجاه إحكام الخناق حول عنق المقاومة، وإلزامها على تقديم تنازلات تمس وجودها، وأمنها الوطني.

ولكن واحداً من هذه الأهداف لم يتحقّق. بل لا نقول جديداً، ولا نبتدع من عندنا، إذا أكّدنا أن المواجهة قد انتهت بما يوافق الجميع على اعتباره نصراً فلسطينياً، سياسياً وعسكرياً، في آن، حتى في الأوساط الإسرائيلية نفسها.

فعسكرياً، تبين أن ثمة استحالة مادية لتصفية الجسم العسكري للمقاومة، سواء بفعل نموه أضعافاً مضاعفة، أو بما بات يمتلكه من فعالية عسكرية متطوّرة، أو نظراً لانتشاره على رقعة جغرافية واسعة، تجعل مطاردته أمراً غير ميسور، واحتلال شطر جديد من الجنوب، «مجرد تقديم لساحة المعركة بضعة أمتار إلى الأمام»، كما ذهب أحد المعلّقين إلى القول.

وسياسياً، أثبتت منظمة التحرير، حضوراً، يصعب اعتباره ثانوياً بأي مقياس من المقاييس، وفرضت اعترافاً حاسمًا بنفسها، بوصفها الطرف الآخر في معادلة الصراع في المنطقة، والذي لا يستقيم حل دونه، أو رغمًا عنه.

وعلى قاعدة هذا الحضور بالذات، إضطرّت الولايات المتحدة للتدخّل لممارسة قدر من الضغط على إسرائيل، للقبول بوقف إطلاق النار، وفق بنوده الثلاثة المعروفة.

نقول إنه على قاعدة هذا الحضور بالذات، تم التدخّل الأميركي، لأن ثمة ميلاً لدى البعض، لإسقاط عامل الصمود الفلسطيني، بوصفه عاملاً حاسمًا في إنتاج وقف النار، بمدلولاته البعيدة، والجنوح نحو تفسير يرى أن الولايات المتحدة قد فوجئت «بالخروج» الإسرائيلي على القرار الأميركي القاضي بتجميد الوضع العسكري في المنطقة؛ الأمر الذي يربك توجهها نحو دفع الأنظمة العربية المحافظة لاستمالة منظمة التحرير واحتوائها، فبادرت إلى التدخّل العاجل لضبط أي انفجار إسرائيلي ــ فلسطيني يطيح بمثل هذه الخطة.

وإذا كنا لسنا، هنا، في معرض مناقشة الرأي القائل ان التوجّه الجديد لإدارة الرئيس الأميركي ريغان، يقضي بأيلاء دور متزايد الأهمية للأنظمة العربية المحافظة، مقابل التعويل الكارتري الوحيد الجانب على النظام الساداتي، فإنه يجدر أن نثبت حقيقة، هي أن الهجوم الإسرائيلي قد تم بمعرفة ومباركة أميركية مسبقة، لم يتأخر بيغن عن الجهر بها، مؤكّداً أن الحكومة الإسرائيلية قد اطلعت المبعوث الأميركي، فيليب حبيب، على العملية العسكرية، فلقيت لديه تفهّمًا وتجاوباً.